الجامعة الإسلامية مينسوتا
Islamic University of Minnesota
الفرع الرئيس

# شرح العقيدة الواسطية

## د/ أبوبكر الصديق عمر الفاروق القاضي

باحث دكتوراة السنة النبوية



abobakrelkady AboBakr Elkady
www.abobakrelkady.net KonnashatElkady

# المجلس الأول (شرح العقيدة الواسطية)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم
ثم أما بعد:
إن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد -صلى الله وسلم-، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار،
ثم أما بعد: -

هذا هو المجلس الأول من هذه الدورة المباركة -بإذن الله عز وجل- وهو شهر في شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.
وهي رسالة بعثها إلى أهل واسط حين سألوه عن عقيدة أهل السنة والجماعة بشكل مختصر ومجمل.

وشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- غني عن التعريف: الفارس الذي لا يشق له غبار، الفارس الذي جمع بين جهاد الكلمة والبيان وجهاد السيف والسنان، الذي زاد عن حياض الشريعة، وكان من حراسها وكان مجددًا في عصره، وكان سببًا لخروج عصره من الجمود إلى تحرير الاجتهاد.

فقد كان من المؤلفين الذي له أكثر من ألف كتاب ورسالة وجواب عن مسألة

شيخ الإسلام ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، المولود في دمشق. وقد كان -ولا يزال- شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حلقة مهمة في التراث الإسلامي لكل مهتم بالتراث الإسلامي لا بد أن يمر على شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مبحث أو في مسألة وتحرير مسألة عقدية أو عملية.

تراجم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كثيرة جدًا: -

يوجد في مشروع الشيخ بكر أبو زيد الجامع لسير شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى وتراجمه في مجلد كبير.

كذلك العلامة الحكيم أبي الحسن النبوي في المجلد الثالث قد أفرد مجلدًا كاملًا في سلسلة رجال الفكر والدعوة، مجلدًا كاملًا في ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

كذلك كثير هي الكتب التي كتبت عنه: كالعقود الذرية، وأيضًا الأعلام العلية في سيرة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

- فشيخ الإسلام غني عن التعريف.

أما الرسالة التي بين أيدينا -وهي العقيدة الواسطية- فهي متن مجمل ومختصر في عقيدة أهل السنة والجماعة في: -

- مواطن الافتراق.
- في مسائل الأسماء والصفات.
- ومسائل كلام الله عز وجل -القرآن.
- وكذلك مسائل الإيمان والكفر والوعد والوعيد.
- وكذلك مسائل القضاء والقدر.
- وكذلك العقيدة في الصحابة وأهل البيت ومجمل طريقة السلف في الاستدلال والاحتجاج.
- وكذلك التزكية والاجتباء على البر والتقوى.

هذه دورة نرجو الله عز وجل أن تكون مباركة وأن تكون لها أثر في تعريف المسلمين بدينهم وعقيدتهم؛ لأن هذا هو أول واجب على المكلف.

قال تعالى: {فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ} [محمد:١٩].

بوب عليها الإمام البخاري باب العلم قبل القول والعمل.

وأول علم واجب على المكلف هو: العلم بالله وبأسمائه وصفاته وربوبيته وألوهيته، وما يجب له من الاعتقاد في أسمائه وصفاته، ومن ثم العمل والعبادة.

فحقيقة "لا إله إلا الله" -أي لا معبود بحق إلا الله- أن يعلمها المكلف وأن يوقن بها، وأن يقبل وأن ينقاد ما تتضمنه من الأحكام والشرائع، وأن يخلص وأن يصدق، وأن يحب في الله ويبغض في الله، ويصبر على أوامر الله وعن معاصي الله وعلى أقدار الله المؤلمة.

- هذا كله من الواجبات التي هي أصل الإيمان الذي يدخل به العبد الإسلام.

لذلك قضية تعلم العقيدة قضية واجبة على كل مكلف لا ينفك عنها أي مكلف، ولهذا نحن نحتاج أن نتعلم العقيدة؛ لأنها أول واجب على العباد بل هي الغاية التي من أجلها خلق الله الخلق.

- قال تعالى: {وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ} [الذاريات:٥٦].
- وقال تعالى: {ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا} [الطلاق:١٢]

- كنتُ رَدِيفَ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم على حمارٍ، فقال لي: "يا مُعاذُ، أتدري ما حَقُّ اللهِ على العِبادِ، وما حَقُّ العِبادِ على اللهِ؟" قُلتُ: اللهُ ورَسولُه أعلَمُ، قال: "حَقُّ اللهِ على العِبادِ أن يَعبُدوه ولا يُشرِكوا به شَيئًا، وحَقُّ العِبادِ على اللهِ ألَّا يُعَذِّبَ مَن لا يُشرِكُ به شيئًا" [أخرجه البخاري].

- قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا} [النساء:١١٦].

- "إنَّ اللَّهَ يقولُ لأهْوَنِ أهْلِ النَّارِ عَذابًا: لو أنَّ لكَ ما في الأرْضِ مِن شيءٍ كُنْتَ تَفْتَدِي بهِ؟ قالَ: نَعَمْ، قالَ: فقَدْ سَأَلْتُكَ ما هو أهْوَنُ مِن هذا وأَنْتَ في صُلْبِ آدَمَ، أنْ لا تُشْرِكَ بي، فأبَيْتَ إلَّا الشِّرْكَ". [صحيح البخاري].

وهذا القول المتضمن لشروط لا إله إلا الله من العلم معناها واليقين بها واليقين بمدلولها، وكذلك القبول والانقياد والحب والصدق والإخلاص، والصبر والرجاء والخوف والتوكل، هذا الأصل.
فالعمل أصل الدين، أصل الإيمان وهو أصل بقول القلب وقول اللسان، وأصول الأعمال القلبية أصل الدين.

فهذا الذي يخرج عصاة الموحدين من النار، وقد يكونون لم يعملوا خيرًا قط أي عملًا ظاهرًا وليس أعمال القلوب التي يصح بها قول لا إله إلا الله.

المقصود: أن تعلم لا إله إلا الله.
- قال تعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّـٰغُوتَ} [النحل:٣٦].
- قال تعالى: {فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّـٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [البقرة:٢٥٦].

تعلم لا إله إلا الله، تعلم أركانها، شروطها، تعلم أصول الإيمان الستة: من الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، على الطريقة السلفية -طريقة فهم السلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم الذين زكاهم القرآن-.

- {وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ} [التوبة:١٠٠].
- وقال تعالى: {فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [البقرة:١٣٧].
- وقال تعالى: {مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا} [الفتح:٢٩].

- "خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ" [صحيح البخاري].

- "افترقتِ اليهودُ والنصارى على إحدى وسبعين فرقةً، وستفترقُ أمتي على ثلاثٍ وسبعين فرقةً كلُّها في النارِ إلا واحدةً. قيل: من هم يا رسولَ اللهِ ؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي".

وهذا مذهب السلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم، مذهب واجب الاتباع في العقائد والعبادات والمعاملات والسلوك والسياسة الشرعية والجهاد في سبيل الله، وطريقة الاتباع والاستدلال والتزكية.

- وهذه هي التي سيؤصله شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله من خلال هذه الرسالة.

سنبدأ في المتن مباشرة؛ لأن وقتنا ضيق ونريد أن ننهي بإذن الله وحوله وقوته هذه الرسالة في ثمان مجالس.

وهذا هو المجلس الأول: والمتن عندكم سيبدأ عند الصفحة الواحدة والتسعين.

- قال: "الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيد"

الحمد له عز وجل.
والحمد هو: الثناء والمدح مع المحبة لله عز وجل.
يحمد على أسمائه وصفاته وأفعاله تبارك وتعالى، ويحمد أيضًا على آلائه ونعمه تبارك وتعالى.

وأعظم آلائه ونعمه: -
- قوله تعالى: {ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا} [المائدة:٣].
- وقال تعالى: {ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا} [الكهف:١].
- وقال تعالى: {ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَـٰثَ وَرُبَـٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ} [فاطر:١].
- وقوله تعالى: {ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَـٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ} [الأنعام:١].
- وقوله تعالى: {ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ} [سبأ:١].

تبارك وتعالى

- "الحمد لله الذي أرسل رسوله وأنزل الكتب وأرسل الرسل".

من رحمته عز وجل:

- قوله تعالى: {وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ} [الأنبياء:١٠٧].
- وقوله تعالى: {وَمَا كُنتَ تَرْجُو أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ} [القصص:٨٦].
- وقوله عزوجل: {وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ * أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} [الزخرف:٣١-٣١].

فالقرآن والكتب المنزلة رحمة، وإرسال الرسل رحمة، وسمى الله النبوة رحمة.

{أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ} أي النبوة.

- وقال تعالى: {أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [العنكبوت:٥١]

وهو يستحق الحمد على رحمته وعلى حكمته، وعلى اصطفائه واجتباءه.

- {وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ} [القصص:٦٨]
- {ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ} [الحج:٧٥].

أنزل الله الكتب وأرسل الرسل.

- {كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ * ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ} [إبراهيم:١-٢].
- {ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ} [البقرة:٢٥٧].

وهكذا ستجد أن كل آية من كتاب الله وكل حديث من أحاديث رسول الله هو عقيدة ويعتبر من باب الاعتقاد، ويوجد فيه -لا شك- شق عقدي، ولذلك حقيقة علم العقيدة هو الدين كله.

كل النصوص -ما جاء في القرآن والسنة، وما تدارسه في العقيدة الواسطية أو في كتاب أعلام السنة المنشورة في اعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، أو في كتاب معارج القبول شرح سلم الوصول متن في التوحيد للحافظ أحمد الحكمي، وكذلك العقيدة الطحاوية للإمام الطحاوي وشرحها لابن العز الحنفي، وكذلك التدمرية والحموية لشيخ الإسلام ابن تيمية.

وكذلك أصول الدين للالكائي، وكذلك أصول السنة للبيهقي، أو السنة للإمام أحمد، أو كتاب الإيمان لأبي القاسم، أو غيرها من كتب العقائد- فكل كتب العقائد هي ضوابط للعقيدة، أما حقيقة العقيدة فهي كل القرآن وكل السنة.

- ولذلك ستجد أن كل آية من كتاب الله وحديث من أحاديث رسول الله ستستخرج منها عقائد وتستنبط منها معان عقدية.

- "الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى".

فالهدى هو: معرفة الحق -بخلاف الرشد-، فالرشد هو: معرفة الحق والعمل به.

- {وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ} [الحجرات:٧].
- {قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ} [البقرة:٢٥٦].
- " اللَّهمَّ إنِّي أسألُكَ الثَّباتَ في الأمرِ والعزيمةَ على الرُّشدِ" الرشد: معرفة الحق واتباعه.

- قال: "هو الذي أرسل رسوله بالهدى".

القوة العملية، القوة العلمية، المعرفة هي الهدى ودين الحق هو القوة العملية، وهو في الحقيقة الرشد، وهو التدين بالحق، وهو تطبيق هذا الحق.

- "فهو أرسل رسوله بالهدى ودين الحق"

الهدى ودين الحق لفظان يتضمنا معنيين وهما: -

- الهدى: معرفة الحق.
- والدين الحق: هو العمل والتدين بهذا، وهو العمل بالحق.

- قال: "ليظهره على الدين كله".

فدين الله مظاهر منصور، وكلمة الله هي العليا.

- {وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ} [الأنبياء:١٠٥].
- قال تعالى: {وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ * وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ} [الصافات:١٧١-١٧٣].
- {كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ} [المجادلة:٢١].
- {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} [النور:٥٥].
- {بِآيَاتِنَا أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ} [القصص:٣٥].
- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ} [محمد:٧].

فدين الله منصور بنا أو بغيرنا، دعوته ماضية بنا أو بغيرنا، الجهاد ماضٍ بنا أو بغيرنا، دولة الخلافة على منهاج النبوة آتية بنا أو بغيرنا.

- "لا تَزالُ طائِفَةٌ مِن أُمَّتي ظاهِرِينَ علَى الحَقِّ، لا يَضُرُّهُمْ مَن خَذَلَهُمْ، حتَّى يَأْتِيَ أمْرُ اللهِ وفي رواية: وهُمْ كَذلكَ" [صحيح مسلم].

- "ليظهره على الدين كله".

أي كل الملل المنحرفة؛ لكي يعلو الإسلام الأرض، يحكم المسلمين وغير المسلمين، وهذه غاية الجهاد.

- {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ} [الأنفال:٣٩].

أي شرك ظاهر يحكم الأرض، {ويكون الدين لله} أي دين الله الذي يحكم العالم، وليس المراد أن يكون كل الناس مؤمنين؛ لأنه لن يحدث ذلك ولا نكره أحد على دخول الدين ولكن يعلو الإسلام.

- "وكفى بالله شهيدًا".

- {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} [فصلت:٥٣].

كفي بالله شهيدًا: كفى به عليمًا حكيمًا حسيبًا تبارك وتعالى.

- قال: "وأشهد أن لا إله إلا الله".

وهذه شهادة، وهي حقيقة التوحيد وكأنك ترى أن لا إله إلا الله -ألا معبود بحق إلا الله- توحيد الألوهية المتضمن لتوحيد الربوبية، بما أنه خلق ورزق، وأحيا وأمات، وضر ونفع، وأعطى ومنع، وقبض وبسط، وملك وأمر ونهى وشرع؛ إذًا هو يعبد بكل أنواع العبادة الجامعة للأعمال الباطنة والظاهرة.

- "لا شريك له".

لا ند له، لا عدل له، لا كفء له، لا سمي له، لا ظهير له، لا معاون له، لا وزير له، لا شفيع عنده إلا بإذنه إقرارًا به وتوحيدًا وتصديقًا وتلفظًا باللسان.
قول القلب وقول اللسان، وتوحيدًا لله؛ لأنه الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد.

تبارك وتعالى وهو الواحد القهار، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

- "وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم".

هذا هو الشطر الثاني من الشهادتين، وهذا من رفعة ذكر النبي صلى الله عليه وسلم حتى أصبح يقرن ذكره برب العالمين في الشهادتين.
- {وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ} [الشرح:٤].

"وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله": أي إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد.

وهذا اللقب -لقب العبودية- لقب شريف، بل هو أشرف لقب يصل إليه الإنسان.
فإن كان وصف به أكرم الخلق على الله -محمد صلى الله عليه وسلم- في أعظم المواطن.
- {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الإسراء:١].
- {وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا} [الجن:١٩].
- قال تعالى: {وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ} [البقرة:٢٣].

فذكره في مقام الدعوة ومقام التحدي ومقام الإعجاز بهذا الإسم.

هذا اللقب يدل على أن العبودية شرف عظيم.

ومما زادني شرفًا وفخرًا * وكدتُ بأخمصي أَطأُ الثريَّا

دخولي تحت قولك: (يا عبادي) * وأن صيَّرت أحمد لي نبيًا
[القاضي عياض].

- "وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله"

الرسول هو نبي، ولكنه يأتي بشرع ناسخ لمن قبله، وهذا هو الفرق بين النبي والرسول، فكل رسول نبي وليس كل نبي رسول.
وهو الذي جاء بالرسالة من الله تبارك وتعالى، ويأتي بمعجزات على سبيل التحدي قاهرة خاضعة لمن أمامه ببيان حجة الله البالغة، تأتي هذه الآيات والبينات حسية ومعنوية.

- "ما مِنَ الأنْبِياءِ نَبِيٌّ إلَّا أُعْطِيَ ما مِثْلُهُ آمَنَ عليه البَشَرُ، وإنَّما كانَ الذي أُوتِيتُ وَحْيًا أوْحاهُ اللَّهُ إلَيَّ، فأرْجُو أنْ أكُونَ أكْثَرَهُمْ تابِعًا يَومَ القِيامَةِ"
[صحيح البخاري].

- قال: "وسلم تسليمًا مزيدًا".

- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [الأحزاب:٥٦].
صلاة الله على رسول الله: هوثناؤه عليه في الملأ الأعلى.
وصلاة الملائكة والمؤمنين: دعاؤهم للنبي صلى الله عليه وسلم.

- قال: "اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة".

الاعتقاد -كما ذكرنا- هو العقيدة. وأصل كلمة العقيدة لن تجد لها أصلًا في القرآن ولكن ستجد لفظ الإيمان، وستجد لفظ العروة الوثقى، وستجد لفظ اليقين، وستجد لفظ العلم.
ولكن انتشرت هذه الكلمة على أساس أن الاعتقاد يعقد عليه القلب وينعقد عليه القلب.

- قال: "اعتقاد الفرقة الناجية".

لقوله صلى الله عليه وسلم: "إنَّ أمتي ستفترقُ علي اثنتيْنِ وسبعين فرقةً ، كلُّها في النارِ إلا واحدةً وهي الجماعةُ".

هذه هي الفرقة الناجية المنصورة من هذا الحديث لقوله صلى الله عليه وسلم: "لا تَزالُ طائِفَةٌ مِن أُمَّتي ظاهِرِينَ علَى الحَقِّ، لا يَضُرُّهُمْ مَن خَذَلَهُمْ، حتَّى يَأْتِيَ أمْرُ اللهِ وفي رواية: وهُمْ كَذلكَ"، وفي رواية: "حتى يقاتلَ آخرُهم المسيحَ الدجالَ".

فهم لا يزالون على الحق، ولا تخلو الأرض من قائم لله وحجة حتى يخرج المهدي ويقود المسلمين في الملاحم، ثم يخرج المسيح الدجال ويمسح الأرض مسحًا ويمكث فيها أربعين يومًا: يومًا كسنة، يومًا كشهر، يومًا كأسبوع، وسائر الأيام كبقية أيامكم، ويدخل جميع أماكن الأرض إلا مكة والمدينة.

ولا يزال أمره في علو حتى يخرج إليه خير فوارس الأرض يومئذ، ويقيم عليه الحجة ويقول له: "أنت المسيح الدجال الذي أخبرنا عنك رسول الله صلى الله عليه وسلم"، ثم ينزل المسيح عليه السلام فيقتله، ويري الناس دمه يطعنه بحربته.

ثم يأتم بإمام المسلمين في صلاة الفجر، ويقتل الخنزير ويكسر الصليب ويضع الجزية، ولا يقبل إلا الإسلام.
ويحرز المؤمنين إلى جبل الطور من يأجوج ومأجوج، ويدعوا عليهم فيهلكهم الله ويغسل منهم الأرض بمطر شديد، ثم بعد ذلك يحكم المسيح عليه السلام الأرض أربعين عامًا على شرعة الإسلام.

ثم يرسل الله ريحًا طيبة تقبض أرواح المؤمنين من تحت آباطهم، فمن كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان قبضت روحه، ولا يبقى إلا شرار الخلق يتهارشون كما تتهارش الحمر وعليهم تقوم الساعة، إلى أن يأتي أمر الله -الريح الطيبة.
لا يزال في الأرض قائم لله بحجة طائفة مؤمنة ظاهرة على الحق لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم.

ما هو هذا الاعتقاد؟

- هذا الاعتقاد هو الإيمان بالله والتصديق بوجوده تبارك وتعالى وربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته (على تفصيل في الربوبية والألوهية والأسماء والصفات وسيأتي بإذن الله)، وملائكته والتصديق بوجودهم والتصديق أنهم مخلوقون من نور وأنهم عباد الله.

- {يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ} [الأنبياء:٢٠].

- {يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} [النحل:٥٠].

- {لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} [التحريم:٦].

وإن منهم الملك الموكل بالوحي: كجبريل.
والملك الموكل بالقطر: كميكائيل.
والملك الموكل بالنفخ في الصور: كإسرافيل.

ومنهم حملة العرش.
ومنهم ملك الموت وأعوانه الذي وكل بقبض الأرواح.
ومنهم أيضًا الملكان اللذين يسألان العبد في القبر أو في حياة البرزخ، وفي بعض الروايات أنهم منكر ونكير.
ومنهم مالك: خازن النار ورد ذكره في القرآن.
ومنهم رضوان: خازن الجنة ورد ذكره في حديث ضعيف.
وأنهم عباد لله عز وجل ليسوا آلهة، وأنهم ليسوا بنات -كما يقول أهل الجاهلية، وليسوا كما قالوا: ناسب الله الملائكة وأنجب الجن {وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} [الصافات:١٥٢].
وكذلك ليسوا بنات الله -تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

- "الإيمان بالله وملائكته وكتبه".

أنه تكلم بكلام حقيقة سمعه منه جبريل وأداه كما سمعه من التوراة والإنجيل والزبور والقرآن وصحف إبراهيم، ولا شك أن هنالك كتب أخرى.
- {وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ} [الشورى:١٥] فهي رسائل الله إلى البشر.

- "ورسله".

وقد ذكرنا أن منهم الأنبياء -مائة وأربعة وعشرون ألف نبي، ومن الأنبياء: الرسل، فكل رسول نبي وليس كل نبي رسول.
ثلاثمائة وبضعة عشر رسول، ومنهم الخمسة أولو العزم من الرسل:
١)محمد صلى الله عليه وسلم.
٢)وإبراهيم عليه السلام.
٣)وموسى عليه السلام.
٤)عيسى عليه السلام.
٥)ونوح عليه السلام.

بالترتيب هؤلاء رسل الله ليسوا آلهة وهم بشر، ويؤيدون بالآيات والبراهين كما ذكرنا، ولا نغالي فيهم ولا نرفعهم فوق منزلتهم ولا ننزلهم عن منزلتهم من العبودية لله والبلاغ لرسالات الله والعصمة من الشرك والكبائر والقبائح والصغار، والبعث بعد الموت.

فيشمل الإيمان باليوم الآخر: الإيمان بأشراط الساعة الصغرى والكبرى، ونعيم البرزخ وعذابه، وكذلك عرصات القيامة بين الزلزلة ونسف الجبال واقتراب الشمس قدر ميل، وتطاير الصحف، ووضع الميزان، والحوض، الصراط، والقنطرة، والجنة والنار.

- قال: "والإيمان بالقدر خيره وشره"

القدر: هو قدرة الله -كما قال الإمام أحمد- والإيمان بعلمه السابق، والإيمان بكتابة مقادير الخلائق، وكذلك الإيمان بمشيئته النافذة وقدرته الشاملة، وإن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

وكذلك الإيمان بأن الله عز وجل خالق العبد وفعله، وأن العبد فاعل منفعل بفعل الله فيه.

وقضية مسألة الشر أن الله يخلقه ولا يفعله وأنه يخلقه ويترتب عليه من الخيرات ما يكون الفعل المنسوب إلى الله عزوجل هو الخير.

- "لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ كُلُّهُ في يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ ليسَ إلَيْكَ" [صحيح مسلم].

هذه الأركان الستة: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، إجمالًا ويبدأ يفصل في هذا:

- قال: "ومن الإيمان بالله: الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه، وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل".

"الإيمان بما وصف به نفسه عز وجل":
- {وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ} [آل عمران:٢٨].
إذًا هذا لفظ يجوز إطلاقه على الله، وهو بمعنى الذات في كتابه.

"وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم":
وهذا يدل على أن مصادر الاستدلال في قضية الأسماء والصفات، وأنها توقيفية على الشرع وليس للعباد دخل فيها، وإنما مصادر الاستدلال فيها يكون من الكتاب والسنة.

"من غير تحريف":
أصل التحريف هو: التغيير والتبديل، وهذا يشمل التحريف اللفظي والتحريف المعنوي. وإن كان القرآن محفوظًا من التحريف اللفظي.
- {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر:٩]، فقد يقع فيه بعض التحريف المعنوي.
ومعنى التحريف المعنوي: هو التأويل المذموم، وهو صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى محتمل مرجوح من غير دليل.

كمن يقول: "يد الله هي نعمة الله"، كمن يقول: "يضحك بمعنى يرضى"، كمن يقول: "ينزل ربنا إلى السماء الدنيا فيقول تنزل رحمة الله أو تنزل الملائكة"!

كل هذا من التحريف المعنوي: أي صرف اللفظ عن ظاهره وهو التأويل المذموم، وصرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى محتمل. محتمل -لا شك-، ولكنه من أين صرفت اللفظ عن الظاهر إلى هذا المعنى المحتمل من غير قرينة ومن غير نص ينقل هذا المعنى من الظاهر إلى هذا المعنى المحتمل المرجوح؟!

- هذا في الحقيقة تحريف للنصوص.

يقولون: لأن ظاهر هذه النصوص التشبيه.

أقول لهم: هل ظاهر نصوص القرآن والسنة الكفر؟

- {وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} [النساء:٨٢].

بل ظاهره: ما وجب اعتقاده، فلن يخاطب الله تبارك وتعالى رسوله ويخاطب رسوله صلى الله عليه وسلم الأمة بما ظاهره كفر.

وكأنه متضمن لإعمال عقولهم لكي يصرفوا القرآن والسنة عن ظواهرهم زعمًا الكفرية إلى ما تقتضيه عقولهم مما يليق بالله عز وجل، بل الله وصف نفسه ووصفه الرسول بما يليق بالله.

- {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى:١١].
- {بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ} [المائدة:٦٤].
- "إنَّ اللهَ لا ينامُ ، ولا ينبغي له أن ينامَ ، ولكن يخفضُ القسطَ ويرفعُه، يُرفعُ إليه عملُ اللَّيلِ قبل عملِ النَّهارِ، وعملُ النَّهارِ قبلَ عملِ اللَّيلِ، حجابُه النُّورُ، لو كشفها لأحرقت سبُحاتُ وجهِه ما انتهَى إليه بصرُه من خلقِه" [صحيح مسلم].
- "يَدُ اللَّهِ مَلْأَى، لا تَغِيضُها نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ والنَّهارَ. وقالَ: أرَأَيْتُمْ ما أنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّماءَ والأرْضَ؟! فإنَّه لَمْ يَغِضْ ما في يَدِهِ، وكانَ عَرْشُهُ علَى الماءِ، وبِيَدِهِ المِيزانُ يَخْفِضُ ويَرْفَعُ" [صحيح البخاري].

إذًا نؤمن ونصف هذا الإيمان المتضمن للقول والعمل بأوصاف الله تبارك وتعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله وصفاته الفعلية وصفاته الذاتية.

والصفات الذاتية التي لا تنفك عن ذاته عز وجل، ولا تتعلق بالقدرة ولا المشيئة، أما الصفات الفعلية التي قد تنفك بعض الأوقات؛ لأنها متعلقة بالقدرة والمشيئة.

وكلاهما ما مصدرهما؟

- القرآن والسنة.

"من غير تحريف": أي تغيير وتبديل.

وذكرنا أنه هناك تحريف لفظي وتحريف معنوي: -

فالتحريف اللفظي: كمن يقول: "ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه"، وكمن يقول: "وكلم اللهَ موسى تكليمًا" وليس {وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا} [النساء:١٦٤] وكأن موسى هو المتكلم وليس الله.

إذًا سنرد عليه بهذه الآية التي ذكرتها أولًا: {وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ} [الأعراف:١٤٣].

فهذا التحريف اللفظي مردود ولا يقبل؛ لأن القرآن محفوظ منه.

أما التحريف المعنوي: فيقول: {وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا} بمعنى أي: جرحه بأشواك الحكمة.

نقول له: من أين لك هذا؟! الكلام معروف في لغة العرب أنه كلام.

- {وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ} [التوبة:٦].

إذًا الله يتكلم بما يشاء في الوقت الذي يشاء.

يقول: أنت بهذا تشبهه بخلقه!

نقول: هل لأن المشترك اللفظي أن الخلق يتكلم وأن الخالق يتكلم، هل يلزم أن يكون كلام الخلق ككلام الخالق؟!

- لا بل في الحقيقة الله تبارك وتعالى الخالق ذاته ليست كذات المخلوق، وكذلك صفاته ليست كصفات المخلوق. فالكلام عن الصفات فرع من الكلام عن الذات.

وكما أنك حي والله حي -ولا شك أن حياتك ليست كحياته-؛ لأن حياتك تعتريها النقص والسنا والغفلة والنوم والموت، وحياة الله دائمة باقية فكذلك يده ليست كيدك، وكلامه ليس ككلامك، وإتيانه ليس كإتيانك، ونزوله ليس كنزولك، وساقه ليست كساقك، وقدمه ليست كقدمك، وضحكه ليس كضحكك.

- {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى:١١].

نثبت السمع والبصر له -مع أنه مشترك لفظي بيننا وبين الله في مسألة السمع- أنك تسمع وأنك تبصر ولكن بصرك وسمعك محدودان، خلاف الرب عز وجل لا محدود تبارك وتعالى وكذلك كلامه.

نحن نثبت الصفات ونثبت المعاني اللائقة بجلاله وكماله، مع نفي التشبيه ونفي التكييف والتمثيل.

{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}: هذا التنزيه.

{وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}: هذا الإثبات.

عقيدة أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات هي إثبات المعاني مع التنزيه عن المماثلة والتشبيه بتفويض الكيف إلى الله، لا نفوض المعنى وإنما نفوض الكيف.

ونحن نقول أن آيات الأسماء والصفات محكمة من جهة المعنى، متشابهة من ناحية الكيفية.

نحن لا نعلم كيفية استوائه على العرش، أم كيفية إتيانه، أو نزوله، ولكننا نثبت المعنى اللائق، المعنى المفهوم الذي خاطبنا الشرع به ونثبت المعنى أنه علا وارتفع، واستوى على العرش أي علا وارتفع.

فالاستواء معلوم -كما قال الإمام مالك- لكن الكيف مجهول، الإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة، بتفويضه إلى الله.

كيف استوى؟

- نحن نؤمن أنه لا يحيط به العرش؛ لأنه لا يحيط المخلوق بالخالق تبارك وتعالى، وأن العرش مفتقر إليه، والله أكبر وأجل، وأنه علا وارتفع كما يليق بجلاله وكماله.

كيف حدث هذا؟

- هذا لا يستطيع العقل تصوره؛ لأن العقل البشري أضعف من ذلك. فإن كانت الكرة الأرضية ومن عليها لا تساوي ذرة في المجموعة الشمسية، والمجموعة الشمسية لا تساوي ذرة في المجرة.

الشمس نجم متوسط ويوجد ملايين النجوم التي تكبر الشمس وحولها كواكب، وكل هذا في مجرة واحدة، وهنالك عشرة بلايين مجرة في عنقود واحد، وهذا كله واحد بالمائة، وتسعة وتسعون بالمائة من الكون مظلم لا نعلم عنه شيئًا.

وكل هذا في السماء الدنيا، وكل سماء أكبر من التي قبلها.

سبع سماوات وسبع أراضين كخردلة في كف الرحمن، كحلقة في فلاة بالنسبة للكرسي -والكرسي موضع قدمي الرب-، والكرسي كحلقة في فلاة بالنسبة للعرش والله أكبر وأجل.

فأين العقل البشري في هذا؟!

لا بد أن يسجد العقل البشري فلا يتطاول ولا يستعلي، بل يتطامن وينكسر لله عز وجل من غير تحريف.

ذكرنا اللفظي والمعنوي والتعطيل، والتعطيل هو النفي، نفي الصفة كنفي الجهمية أنهم يثبتون ذاتًا مطلقة بدون أسماء ولا صفات.

وجود مطلق، وجود سالم في الكون، ويجتمعون بذلك مع الفلاسفة ومع المتصوفة المتفلسفة من أصحاب عقائد الحلول والاتحاد: أن الله حل في المخلوق، أو أن الله هو والمخلوق شيء واحد من البداية، وكلاهما كفر وزندقة. وكلاهما في الحقيقة نفي لذاته في الحقيقة ولأسمائه وصفاته.

حتى وإن قالوا أن هنالك وجود مطلق، هذا الوجود المطلق يكون في الأذهان فقط ، لكن عندهم أن الله متحد مع كل الذوات.

الحلول: أي أنه كان هناك ذات خالق وذات مخلوق، ثم حلت ذات الخالق في المخلوق.

فإن كنا نكفر من قال أن الله حل في عيسى، فما بالك بمن يقول أنه حل في كل ذوات المخلوقات! فضلًا عمن يقول: أن الله والمخلوقات أصلًا شيء واحد، وأن العالم قديم! فهذا لا شك أنه كفر أكبر، وكل هذه زندقة وردة.

التعطيل:

- هناك تعطيل ذات وأسماء وصفات، وهناك تعطيل للأسماء والصفات كالجهمية.

تعطيل الذات والأسماء والصفات: كالفلاسفة وأصحاب الحلول والاتحاد ودعاة الجمع بين النقيضين -موجود وليس موجود، حي وليس بحي- فهؤلاء جعلوا الله مستحيلًا كذات وأسماء وصفات.

- وهناك تعطيل للأسماء والصفات مع إثبات الذات: كالجهمية.
- وهناك تعطيل الصفات: كمن يثبت ذاتًا وأسماء كالمعتزلة، يثبتوا ذاتًا وأسماء ولكن بلا صفات، أي سميع بلا سمع، بصير بلا بصر، قدير بلا قدرة.
- وهناك من يثبت ذاتًا وأسماءً وصفاتًا ولكن يؤولها كالأشاعرة والماتريدية والكلابية.

وأصل كل شر: التأويل المذموم، وهو صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى محتمل مرجوح من غير دليل.

والأشاعرة ليسوا من أهل السنة والجماعة، وكذلك الماتريدية ولا الكلابية الذين يحرفون الكلم من بعد مواضعه أو عن مواضعه بالمعنى التحريف اللفظي، التحريف المعنوي والتأويل المذموم.

يقولون: يده أي نعمته.

يقولون نزوله: أي نزول رحمته وملائكته.

يقولون: يضحك أي يرضى.

يؤولون الرحمة: إرادة الثواب، والحب إرادة الثواب وغير ذلك حتى يزعموا أنهم بذلك يفرون من التشبيه.

وفي الحقيقة سنرد عليهم بما أثبتوه: هم يثبتون الوجود، يثبتون القدرة، يثبتون الإرادة.

فأنا أريد أيضًا: أي أن المخلوق يريد، فهل إرادة الله كإرادة المخلوق؟

يقول لك: لا؛ لأن إرادة الله ليست كإرادة المخلوق لأن الله {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}.

إذًا حُلَّت.

وكذلك يده وساقه، إتيانه ونزوله وكلامه.

فلم أنت متكلف ومتناقض، وتريد أن تقول الكلام كلام الله نفسي وأنه لم يخرج من الله تبارك وتعالى، وأن القرآن حكاية أو عبارة عن كلام الله وليس كلام الله حقيقة!

إلا أنه يقول لك: إذا أثبت الكلام، أثبت التشبيه أثبت أن هنالك آلة لماذا أنت تتكلم في الكيفية؟

يقول استوى تعني استولى، لماذا؟

لماذا الاستواء معلوم والكيف مجهول، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة - كما قال الإمام مالك.

- "إذًا من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف".

التكييف: هو اعتقاد كيفية معينة لصفات الله عز وجل.

لا شك أن لها كيفية ولكنها غيبية، فنحن نثبت المعنى ونفوض الكيف إلى الله.

- {وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا} [طه:١١٠].
- {لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ۖ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} [الأنعام:١٠٣].
- {وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۖ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ} [البقرة:٢٥٥].

- قال: "ولا تمثيل".

التمثيل متضمن للتشبيه؛ لأن المثل هو مائة بالمائة يماثلك، والتشبيه هو من يشبهك -أي حوالي سبعين في المئة يشبهك، فأنت تنفي التمثيل وتنفي التشبيه.

- {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى:١١].

لا مثل له ولا شبيه له ولا كفؤ له ولا عدل له ولا ند له ولا سمي له.

- {رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا} [مريم:٦٥].

هو لا سمي له تبارك وتعالى.

كذلك أنت تثبت وحدانيته وفردانيته عز وجل.

فالفرق بين التكييف والتمثيل: أن التكييف أعم من التمثيل.

التمثيل جزء من التكييف، بمعنى أنك تعتقد كيفية معينة سواء كانت هذه الكيفية موجودة أو ليست موجودة.

إذا فالكيفية الموجود مثلها هذا هو التمثيل وكلاهما منفية.

هناك كيفية غيبية لكنك لا تعلمها وتفوض أمرها وعلمها لله عز وجل.

- قال: "بل يؤمنون بأن الله سبحانه وتعالى " ليس كمثله شيء وهو السميع البصير".

إذًا أثبت السمع والبصر، إدراك المسموعات وإدراك المرئيات لله تبارك وتعالى لكن ليس كالمخلوقين.

- {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى:١١].
- {وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [الروم:٢٧].

أثبت سمعًا وبصرًا لا كسمع ولا بصر المخلوقين كما يليق بجلاله وكماله، مع إثبات التنزيه له عن المشابهة والمماثلة لغيره عز وجل.

وبذلك هم أهل السنة والجماعة -في باب الأسماء والصفات- وسط بين المعطلة وبين المشبهة.

**المعطلة:** الذين نفوا الذات والأسماء والصفات، أو الأسماء والصفات، أو الصفات، أو أولو الصفات.

كل هذا من دروب التعطيل والتأويل المذموم والتحريف اللفظي أو المعنوي، كل هذا من دروب التعطيل.

**وبين المشبهة:** الذين أثبتوا لله ذلك كالكرامية؛ لأنهم أثبتوا لله صفاتًا كصفات المخلوقين، ومنهم اليهود والنصارى أيضًا الموغلون في التشبيه أن لله ولدًا وأن له صاحبة وأنه يصرع وأنه يبكي وأنه يمرض وأنه ترمد عيناه، كل هذا تشبيه.

فكلاهما منفي عن مذهب أهل السنة والجماعة في الاعتقاد في الله تبارك وتعالى، حيث يعتقدون في الله تبارك وتعالى أن له الأسماء الحسنى الكاملة في الحسن، المتضمنة للصفات -الصفات الذاتية والصفات الفعلية- كما يليق بجلاله وكماله.

- {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى:١١].
- {وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [الروم:٢٧].

كما ذكرنا فلا ينفون ولا يشبهون، بل يثبتون مع التنزيه.

إذًا إثبات مع التنزيه مع تفويض الكيف إلى الله تبارك وتعالى، لا نفوض المعنى وإنما نفوض الكيف لله تبارك وتعالى.

- قال: "فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه ولا يحرفون الكلم عن مواضعه".

ذكر في القرآن التحريف عن مواضعه ومن بعد مواضعه، وكلاهما تحريف معنوي وتحريف لفظي.

- "ولا يلحدون في أسماء الله وتعالى وآياته".

الإلحاد: هو الميل عن الحق.

وهذا له صور عديدة، فمن الإلحاد في أسماء الله:

- التعطيل.
- ومن الإلحاد في أسماء الله: التحريف والتأويل المذموم.
- وكذلك من الإلحاد في أسماء الله: التكييف والتمثيل.
- وكذلك من الإلحاد في أسماء الله عز وجل: اشتقاق أسماء منها للآلهة الباطلة كاللات والعزى ومناة، فاللات من الله، والعزة من العزيز، ومناة من المنان، وكل هذا من الإلحاد في أسماء الله تبارك وتعالى، وكل هذا منفي عن أهل السنة والجماعة من أهل الإسلام.

{وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الأعراف:١٨٠].

طبعًا لا شك أن أهل الجاهلية غارقون في التشبيه أيضًا؛ لأنهم جعلوا لله ولد وجعلوا لله بنات، وكانوا يكرهون البنات.

- {وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ} [النحل:٦٢].

هم أيضًا كانوا غارقين في هذا التشبيه مع الشرك.

- قال: "ولا يلحدون في أسماء الله تعالى وآياته عز وجل المتلوة من القرآن".

فلا يلحدون: أي لا يؤولونها على غير مراد الله منها وعلى غير ظاهرها.

- قال: "ولا يكيفون" وذكرنا التكييف ومعناه، "ولا يمثلون " وذكرنا علاقة التمثيل بالتكييف، وكذلك ذكرنا معنى التمثيل والفرق بينه وبين التشبيه.

- "ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه لأنه سبحانه وتعالى لا سمي له ولا كفء له ولا ند له ولا يقاس بخلقه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره".

هو العليم العالم العلام، علم ما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون. علمه أحاط بالكليات والجزئيات، والغيب والشهادة، الماضي والحاضر والمستقبل، العليم العالم العلام.

- {وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ} [الأنعام:٥٩].

أعلم بنفسه عز وجل لا يحيطون به علمًا.

- " لا أُحصي ثناءً علَيكَ أنتَ كما أثنَيتَ علَى نفسِك" [صحيح مسلم].

هو أعلم بنفسه ولذلك هو يحصي ثناء على نفسه تبارك وتعالى لا يحصيه غيره، هو تبارك وتعالى أعلم بنفسه وأعلم بغيره؛ لأنه هو الذي أوجد هذا الغير تبارك وتعالى، كان الله ولم يكن شيء معه.

- "كانَ اللَّهُ ولَمْ يَكُنْ شيءٌ قَبْلَهُ" [صحيح البخاري].
- كما قال صلى الله عليه وسلم: "أَنْتَ الأوَّلُ فليسَ قَبْلَكَ شَيءٌ" [صحيح مسلم] تبارك وتعالى.

- "وأصدق قيلا".

{وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا} [النساء:١٢٢]، فإذًا هو يقول ويتكلم وهو الصادق تبارك وتعالى.

{وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا} [النساء:٨٧].

- "وأحسن حديثًا من خلقه عز وجل".

{اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ} [الزمر:٢٣].

- "ثم رسله صادقون مصدقون".

قال ابن مسعود: "حدثني الصادق المصدوق".

قال تعالى: {وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ} [الزمر:٣٣].

- "بخلاف الذين يقولون عليه ما لا يعلمون".

أعظم ذنب على الإطلاق: هو أن تقول على الله ما لا تعلم.

- {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} [الأعراف:٣٣].

إذًا رتبهم من الأدنى إلى الأعلى:

- {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ}.
- أعلى منها: {وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا}.
- وأعلى من الشرك: {وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ}.

لماذا أعلى من الشرك {وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ}؟

- لأنه أصل الشرك.

فأصل الشرك أنك قلت عليه ما لا تعلم: أن له صاحبة أو ولد، أنه ثالث ثلاثة، أن له بنات، أنه ناسب الملائكة وأنجب الجن، كل هذا الباطل وهذا الإلحاد.

- قال: "بخلاف الذين يقولون عليه ما لا يعلمون".

ولهذا قال سبحانه وتعالى:

{سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ}: من أهل الجاهلية أو أهل الكتاب المحرف من اليهود والنصارى، أهل الجاهلية من أهل اليهود والنصارى والأميين.

{وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ}: وسلم ما قالوه من كل عيب ونقص؛ لأن ما قالوه هو عين الحق عنه عز وجل.

{وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الصافات:١٨٠-١٨٢]: يستحق الحمد على جلاله وجماله وكماله، وذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وشرعه وآياته الشرعية وآياته الكونية وآياته التكوينية، رب العالمين تبارك وتعالى فكل ما سواه من العالمين من المخلوقين.

لما عجزت الخليقة عن حمد ربها، حمد الرب نفسه عز وجل -كما قال القرطبي: "فسبح نفسه: أي نزهها التسبيح والإبعاد، نزهها عن كل نقص وعيب".

من أسمائه القدوس: المنزه عن كل نقص وعيب.

والطيب: الذي لا يقبل إلا طيبًا تبارك وتعالى.

فسبح نفسه عما وصفه به المخالفون للرسل، وسلم على المرسلين لسلامة ما قالوه من النقص والعيب، وهو سبحانه قد جمع فيما وصف به نفسه بين النفي والإثبات.

إذًا نفى المشابهة والمماثلة والعيب والنقص، وكذلك أثبت لنفسه معاني الأسماء والصفات التي تدل على كل كمال وجمال وحسن.

- قال: "فلا عدول لأهل السنة والجماعة عما جاء به المرسلون، فإنه الصراط المستقيم".

{اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} [الفاتحة:٦].

ما هو الصراط المستقيم؟

- {صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ} [الفاتحة:٧].

من الذين أنعم الله عليهم؟

- {مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا} [النساء:٦٩].

- "وقد دخل في هذه الجملة ما وصف به نفسه في سورة الإخلاص: {قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ * ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ} [الإخلاص ١: ٣]".

ويبدأ يطبق هذه القاعدة على كل الآيات والأحاديث الآتية في سورة الإخلاص، وإن كانت سميت سورة الإخلاص لكنها متضمنة للتوحيد الاعتقادي الخبري وليس التوحيد العملي، وليس فيها أمر بالإخلاص، ولكن هذا يدلك على أن التوحيد وحدة واحدة.

بمعنى أن هذا التقسيم -توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات- هذا تقسيم اصطلاحي لا يترتب عليه عمل، وإنما التوحيد وحدة واحدة لا يكتفى فيه بأحد أنواعه، وإنما هم الثلاثة يحصلون في قلب العبد.

أنه يعتقد الاعتقاد الخبري من توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، ومن ثم هو يخلص، ومن ثم هو يؤله ربه ويتعبد لربه.

فمن عرف الله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد؛ لا بد أن يخلص قلبه له حبًا وشوقًا وإخلاصًا ويقينًا ورغبة ورهبة وانكسارًا وافتقارًا.

قل يا محمد هو الله أحد واحد فرد صمد

وجاءت لفظ أحد وليس واحد؛ لأنها تكون لفظ الأحدية يأتي في سياق النفي، أنك تقول: لم أجد أحدًا في البيت، لا تقول: لم أجد واحدًا في البيت، وإنما تقول لم أجد أحدًا.

فكأن الله تبارك وتعالى هذا اللفظ {قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ} أي الذي ليس له مثل وليس له شبيه، وواحد أحد أي متفرد.

{ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ} طبعًا الله أصلها: الإله، وحذفت الهمزة وأدغمت اللامان وأصبحت الله، وهو ذو الألوهية العبودية، ويستحق الحب والخوف والرجاء، وهو الإله الذي تحار فيه العقول وتشتاق إليه القلوب.

والصمد: هو الذي تصمد إليه الخلائق في حوائجها، أي تلجأ إليه.

وهو الصمد الذي لا جوف له، لا يحتاج إلى طعام ولا شراب، يُطعِم ولا يُطعَم، يُطعِم ولا يَطعم، كذلك قراءة أخرى.

وكذلك الصمد: السيد الذي قد كمل في سؤدده، والعظيم الذي قد كمل في عظمته، والعليم الذي قد كمل في علمه.

{لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ}: ليس له أصل ولا فرع، ليس له أب ولا ولد، وهو الأول الذي ليس قبله شيء.

"كان الله ولم يكن شيء معه، كان الله ولم يكن شيء قبله" كما قال صلى الله عليه وسلم.

- قال: {وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ}، وفي القراءة الأخرى {كُفُوءًا أَحَدٌ} فلا يكافئه أحد في أسمائه وصفاته وأفعاله وجلاله وجماله وكماله.

هذه السورة تعدل ثلث القرآن، وكذلك من قرأها عشر مرات بني له بها قصر في الجنة، ومن قرأها ثلاث مرات فكأنما ختم القرآن.

هذه السورة تعدل ثلث القرآن لأن القرآن ثلاثة أثلاث:

١. خبر عن الله.
٢. وخبر عن وعد الله ووعيد الله في الدنيا والآخرة من خلال القصص ومن خلال الإخبار عن الجنة والنار.
٣. والثلث الثالث حقوق توحيد من الأوامر والنواهي الشرائع.

وهذه السورة تضمنت القسم الأول من الثلث الأول وهو ثلث الخبر عن الله عز وجل وأسمائه وصفاته، وهو التوحيد الاعتقادي الخبري.

فالوعد والوعيد ومآل المجرمين ومآل المؤمنين في وعدهم ووعيدهم في الدنيا والآخرة من خلال القصص ومن خلال ذكر الجنة والنار هذا الثلث الثاني.
والثلث الثالث: هو حقوق التوحيد من الأوامر والنواهي والشرائع.

الحقيقة القرآن كله توحيد، ولكن هناك توحيد اعتقادي خبري -كما ذكرنا، وهناك توحيد عملي من الشرائع والأوامر والنواهي، وهناك مآل أهل التوحيد ومآل أهل الشرك في الدنيا والآخرة.

وهذا هو القصص والوعد والوعيد في ذكر إهلاك الأمم المكذبة في الدنيا، وإنجاء أهل الإيمان بالدنيا فضلًا عن عرصات القيامة والجنة والنار في يوم الفصل.

- قال: "وما وصف به نفسه في أعظم آية في كتاب الله عز وجل في كتابه حيث يقول: {اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۖ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ} [البقرة:٢٥٥].

هذه الآية التي شرع لك أن تقرأها في دبر كل صلاة، وأن تقرأها عند منامك، وأن تقرأها في الرقية إلى غير ذلك لما تضمنته من اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى.

{اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ}:

الله: ذو الألوهية، الإله الذي تحار فيه العقول وتشتاق إليه القلوب.

{لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ}: لا معبود بحق إلا هو.

الحي: الذي له الحياة الكاملة الدائمة التي لا يعتريها نقص ولا سنة ولا نوم ولا غفلة ولا موت.

القيوم: القيام القيم القائم بأمر نفسه المقيم لأمر الخلائق، الذي يتضمن كمال شهود صفاته الفعلية، كما أن الحياة تتضمن كمال شهود صفاته الذاتية.

■ ولنا محاضرتان في سر الاسم الأعظم في شرح اسمي الله الحي القيوم، وشرح ما يترتب على ذلك من التعبد بهما لله تبارك وتعالى في منزلة الحياة من مدارج السالكين.

الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ: وهذا من كمال حياته ومن كمال قيوميته، ودومًا النفي المجرد لا يتضمن مدحًا، فلا بد أن يقترن النفي بالإثبات.

ولذلك {قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ * ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ} [غلإخلاص:١-٣].

لم يلد ولم يولد: نفي قبله إثبات {ٱللَّهُ أَحَدٌ * ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ}.

هنا {اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ}: إثبات، إذًا يأتي النفي بعده.

إذًا النفي وحده "لا تأخذه سنة ولا نوم" هكذا لوحده ليس مدحًا، وإنما يكون مدحًا إذا اقترن بإثبات الحياة.

إنها حياة لا يعتريها عيب ولا نقص، ولا موت ولا سنة ولا نوم، ولا غفلة ولا نسيان.

وكذلك الأحدية والصمدية أنه {لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ} هذا متضمن لكمال الأحدية والصمدية.

ولذلك هو شيخ الإسلام يبرهن من خلال هذه الآيات على الإثبات والنفي، وأن الإثبات لا يتعارض مع التنزيه عن مشابهة الله ومماثلة الله لخلقه، بل الإثبات كما يليق بجلاله وكماله مع نفي النقص والعيب، ومع نفي المماثلة والمشابهة.

وهو نفس المنهج المتبع أو المستنبط من قوله: {ليس كمثله شيء} هذا هو النفي، {وهو السميع البصير} هذا هو الإثبات.

إذًا لا بد أن يقترن النفي بالإثبات لكي يكون مدحًا؛ لأن النفي بمجرده ليس مدحًا.

** انتبه لهذه القواعد جيدًا.

- أن الكلام عن الصفات فرع عن الكلام عن الذات: هذه قاعدة.
- أن التأويل المذموم هو أصل كل بدعة، والقول على الله بغير علم والتأويل المذموم؛ لأنه صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى محتمل مرجوح بغير دليل.
- وكذلك مسألة مصادر الاستدلال وتوقيفية الأسماء والصفات.
- كذلك أن النفي المجرد ليس مدحًا، ولا بد أن يقترن الإثبات، ولا بد أن يجمع أهل السنة في اعتقادهم في الله بين الإثبات والنفي، وأنهم وسط بين المعطلة وبين المشابهة.

كما سيأتي بإذن الله في بقية المواطن الافتراق في هذا الكتاب.

{لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ * لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ}: كمال ملكه وتصرفه وامتلاكه لذوات الأشياء في السماوات والأرض.

{مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ}: فلا شفيع عنده إلا بإذنه، يأذن للشافع ويرضى عن المشفوع {وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ} [الأنبياء:٢٨].

إذًا الشفاعة الشرعية لا بد أن يأذن الله للشافع وأن يرضى عن المشفوع.

{يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ}: {لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ} [سبأ:٣] هو عزوجل العليم العالم العلام كما ذكرنا.

- قال: {وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ}: الله تبارك وتعالى يعلّم من شاء ما شاء ومع ذلك {وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ}.
  - "قالَ له الخَضِرُ: يا مُوسَى، إنَّكَ علَى عِلْمٍ مِن عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَكَهُ اللَّهُ لا أعْلَمُهُ، وأَنَا علَى عِلْمٍ مِن عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَنِيهِ اللَّهُ لا تَعْلَمُهُ" [صحيح البخاري].
  - وقال: "ووَقَعَ عُصْفُورٌ علَى حَرْفِ السَّفِينَةِ فَغَمَسَ مِنْقَارَهُ في البَحْرِ، فَقالَ الخَضِرُ لِمُوسَى: ما عِلْمُكَ وعِلْمِي وعِلْمُ الخَلَائِقِ في عِلْمِ اللَّهِ إلَّا مِقْدَارُ ما غَمَسَ هذا العُصْفُورُ مِنْقَارَهُ" فهو العليم العالم العلام تبارك وتعالى.

{وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ}:

وذكرنا أن الكرسي موضع قدمي الرب -كما قال ابن عباس-، وهو بالنسبة للعرش كحلقة في فلاة، السماوات السبع والأرضون السبع كحلقة في فلاة بالنسبة للكرسي، والكرسي كحلقة في فلاة بالنسبة للعرش، والله تبارك وتعالى أكبر وأجل.

{وَلَا يَئُودُهُ}: أي لا يكلفه تبارك وتعالى ولا يعجزه تبارك وتعالى حفظهما.

{إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ} [فاطر:٤١].

{وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيم}: العلو له تبارك وتعالى ثلاثة أنواع: -

١. علو الذات: هو تبارك وتعالى مستوٍ على عرشه، بائن من خلقه، منفصل عنهم، لا يحلون فيه ولا يحل فيهم.
٢. وعلو الشأن: فله المثل الأعلى في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم، له ذروة الكمال في كل اسم من أسمائه وصفة من صفاته.
٣. علو القهر: {وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ} [الأنعام:١٨] العظيم له العظمة والجبروت والملكوت والكبرياء.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
"الكِبرياءُ رِدائي، والعَظَمةُ إزاري، مَن نازَعَني واحِدًا منهما، قذَفتُه في النّارِ"
[صحيح أبي داود].

قال:

{وَلَا يَئُودُهُ}: أي لا يكلفه ولا يثقله.

- {مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ} [لقمان:٢٨].
- {وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ} [لقمان:٢٧].
- {قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا} [الكهف:١٠٩].
- {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ} [الزمر:٦٧].
- {مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا} [نوح:١٣] أي لا تعظمونه حق تعظيمه.
- {أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ ۚ بَنَاهَا * رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا * وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا} [النازعات:٢٧-٢٩].
- {لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [غافر:٥٧] فحفظ السماوات السبع والأرضين السبع لا يكلفه ولا يثقله.
- {يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ} [الرحمن:٢٩].

يفرج كربًا، ويغفر ذنبًا، يؤتي الملك من يشاء، ينزع الملك ممن يشاء، يعز أقوامًا، يذل آخرين.

ولهذا كان من قرأ هذه الآية في ليلة لم يزل عليه من الله حافظ ولا يقربه شيطان حتى يصبح؛ لكمال الاعتقاد الصحيح والعقيدة الصافية النقية والتصورات الصحيحة عن الله عز وجل، وأن له الجمال والكمال والجلال، وتفريده وتوحيده، ونفي كل نقص وعيب عنه تبارك وتعالى، ونفي إحاطة الخلق به، كذلك نفي المماثلة والمشابهة للمخلوقين، وأنه الواحد الأحد الفرد الصمد تبارك وتعالى.

وقوله سبحانه: {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ} [الفرقان:٥٨].

إذًا أيضًا الذي لا يموت نفي في سياق إثبات الحياة الدائمة لله عز وجل الحي تبارك وتعالى، الذي له الحياة التامة تبارك وتعالى.

وقوله عز وجل: {هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [الحديد:٣].

"أنتَ الأوَّلُ ليس قَبْلَكَ شيءٌ، وأنتَ الآخِرُ ليس بَعْدَكَ شيءٌ، وأنتَ الظّاهرُ ليس فَوْقَكَ شيءٌ، وأنتَ الباطِنُ ليس دونَكَ شيءٌ".

وهو الأول: كان الله ولم يكن شيء معه، والآخر: {وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى} [النجم:٤٢]

{إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ} [مريم:٤٠].

{وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الزمر:٧٥].

الظاهر العلي الذي له علو الذات والشأن والقهر، الباطن العليم بخفيات الأمور، السر عنده علانية، ولا تخفى عليه خافية وهو بكل شيء عليم.

∴ سنقف عند قوله {وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}، وبإذن الله تبارك وتعالى نستكمل ما بدأناه في المجلس القادم بإذن الله تبارك وتعالى، وأسأل الله عز وجل أن ينفع بنا وبكم وأن يعلمنا وإياكم.

❖سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم